الرسالة
الثالثة والخمسون

الحرب والسياسة

صندوق البريد
«١٠٨١»

القدس في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٣

نوايا الهر هتلر :

لا ينكر الالمان ان الحلفاء هم المهاجمون والالمان هم المدافعون الذين يتلقون ضربات وينتظرون اخرى . ولكنهم يدعون ان هذا الوضع موقت لا يدوم الا مدة الشتاء الذي اعتاد الجيش الالماني ان يتخذ منه فصل راحة واستعداد وتحضير سلاح ورجال ووضع خطط . وفي امر هتلر قائد الجيش الالمانى الاعلى الى افراد هذا الجيش بمناسبة رأس السنة اشارة صريحة الى هذا الرأي الالمانى أو هذه الدعاية الالمانية . ولذلك رأينا من المفيد ان ننظر الى امر هتلر الى جيشه نظرة فاحص لنقرأ ما بين كلماتها وحروفها وننفذ الى ما يدور في خلد هذا القائد السياسى والحربى ، ومثل هتلر طالما ظهرت نواياه فى فلتات لسانه .

قال زعيم المانيا ان الجنود الالمان متأهبون من النرويج الى حدود اسبانيا لاحباط أي مشروع يقوم به العدو . واذا قرنا ذلك بالانذار الذي وجهته دار الاذاعة البريطانية الى سكان فرنسا بالابتعاد عن السواحل وعن المناطق العسكرية وقرناه بما علم من اجتماع بين الخبراء البريطانيين والخبراء الامريكيين فى شؤون الحرب لوضع خطة الهجوم العام، ذلك الاجتماع في وشنطن الذي لم يكن اول اجتماع من نوعه ولكنه اهم وآخر اجتماع لاعداد خطة مهاجمة المانيا . ثم قرنا كل ذلك بالاخطار التى تحدق بالمانيا من الشرق ومن الجنوب، عند ذلك، وعند ذلك فقط، ندرك ما ينطوي تحت هذه الكلمة من قائد جيش الى افراد هذا الحيش . فهو يعترف ان جيشه يخشى ان يهاجم وهو يعترف بانه ينتظر شيئاً من هذا القبيل

ولذلك يدعو افراد الجيش للتأهب على هذه الجبهة الطويلة من المحيط المتجمد لي البحر المتوسط .

وقال الهر هتلر (ان السنة التى بدات اليوم ستكون سنة صعبة شديدة ما فى ذلك شك) وهذا برهان اخر على ادراك هتلر لما يساور نفوس جنده من مخاوف وما يترقبونه من اهوال . ولم يتمكن الا ان يصارحهم بهذا وان يحاول تخفيف ما بانفسهم اذ يقول (ان تذهب آلام الجنود الالمان عبثا) . وتبرز نبرته الدفاعية عندما يقول بكل صراحة (تستمر هذه الحرب بكل تعصب للفكرة واستمساك بالمبدأ يستطيعه النازيون ، وسنبذل اقصى جهد فى السنة الجديدة) .

أما أهم فقرة فى خطاب هتلر بعد هذه الجمل التي طبعت بطابع الدفاع وتشجيع النفوس لواجبة الحائرة فهى التى قال فيها « و بعد الشتاء سنستأنف زحفنا الى الامام ، ، لا شك في ذلك الحين ان دولة ما ستنهار ، ولن تكون هذه الدولة هي المانيا ، ان الشعب الالمانى مؤمن بالنصر » . ولو ان مثل هـذه التأكيدات قالها هتلر قبل سنة لحسب لها الف حساب ولقيل انها خارجة من رجل لم ينطق الا بما قرر العزم على الاتيان به ووضع ما يكفل بتحقيقه من اسباب ووسائل . نعم لو هدد هتلر بمثل ما هدد به الآن قبل سنة لكان لتهديده وقع ، أما اليوم فوقع كلماته غير وقعها بعد معركة فرنسا وحملة البلقان ومعارك روسيا الاولى . ولكن كل هذا لا يعنى ان كلمات الهر هتلر يجب ان لا يؤبه بها ولا يقام لها وزن . بل على العكس من ذلك قد يصدق على وضع هتلر الحربى اليوم ما قاله جنرال المانى هو الجنرال (جلوزوينز) عن (نابليون) بعد رجوعه من موسكو فقد قال عنه (انه كالوحش المثخن جراحا تزيده جراحه شراسة وتدفعه الى مغامرات طائشة فتاكة ، ويجب ان يحذر منه) . وحقاً ان الوحش اذا اصيب زاد خطره ولكنه خطر موقت فهو

يضرب بشدة دون تعقل ما وسعه الضرب حتى ينزف دمه ويخر صريعاً . فما هى ضربات هتلر التي ذكرها تصريحاً لا تلميحاً واكد انها آنية. نعم قد يعنى بالدولة التي ستنهار بعد الشتاء حليفته ايطاليا اذ انه لم يعينها ولكنه على الاغلب لا يتناول حليفته بهذا القذف العلنى وروسيا هى التي عناها بهذه الاشارة الحاملة لروح التهديد واليأس والغضب . فما عسى تكون خطته لاخراج روسيا من الحرب ؟ وليست هذه المرة الاولى التى اعلن فيها ان روسيا ستنهار ولكن يظهر انه يأمل فى ان ما وعد بانجازه فى الحملة الاولى سيتم له بعد الحملة الثالثة ، وهو يأمل فى الاحتفاظ بالدفاع كما صرح فى الغرب والانتقال الى الهجوم فى الشرق . من اجل هذا سنرى جهود المانيا فى الشتاء تنحصر فى امرين: أولهما اخراج جنودها من مأزقها الحرج امام الجيوش الروسيه المندفعة والخروج بالقوات المطوقة الى دار الامان وراء خط شتاء اعده الالمان . والامر الثانى هو منع الحلفاء من الاتصال بروسيا عن اقصر الطرق وهو البحر المتوسط ومنعهم من تأمين نقل المساعدات الى روسيا عن طريق الشمال . أي ان هتلر سيحصر جهوده فى الاحتفاظ بصقلية وكريت ان عجز عن الاحتفاظ بتونس وسيضغط على تركيا لتمنع نقل المواد التجارية الي روسيا وسيضغط على اسبانيا لتساعده في اقفال البحر المتوسط . ومن اجل هذا يساعد ايطاليا ولا يتركها لحظها العاثر وفى الشمال ظهرت بوادر خطته فى زيادة اخطار طريق تموين روسيا فهو قد جمع قوته البحرية بكاملها في (نارفيك) و (تروندهيم) فى النروج لمهاجمة قوافل الحلفاء فى طريقها الى (مورمنسك) و (اركنجل) .

هذا ما يبيته هتلر اذا جاز لنا ان نعتمد فى استقرائه على امره الرسمي لجنوده وهو جواز فى رأيي معقول. ولا شك ان الحلفاء يدركون تمام الادراك هذه النوايا وانهم سيقابلونها بما يفسدها فالبحر المتوسط سيفتح لتموين روسيا والنروج قد تهاجم

لتأمين خط الشمال واوروبا الغربية قد تهاجم هجوما شديداً مع اوروبا الجنوبية لتحول دون امنية هتلر فى تركيز قواه ضد روسيا كما يتصور . والربيع القادم سيكشف القناع عن خطة الجانبين ومدى نجاح كل منهما ... والله اعلم ....

* * *

نصر ام انتصارات : — كانت سنة ١٩٣٩ سنة جمود وانتظار وسنة ١٩٤٠ سنة انتصارات كبيرة لالمانيا ولكنها انتصارات لم تكال (بفتح الفتوح) والنصر الاخير ، وكانت سنة ١٩٤١ سنة تحمل واصطبار من جانب الحلفاء ثبتوا فيها امام حملات صادقة قوية من اعدائهم ، وكانت سنة ١٩٤٢ سنة تحول وانقلاب اصبح فيها المهاجم مدافعاً والمدافع مهاجما . ومنذ سنة كان السؤال الذي يتردد على الالسنة هو هل يثبت الحلفاء امام هذه الضربات ، واليوم يتردد مثل هذا السؤال بوضع معكوس اي هل يثبت المحور امام ماتحمله سنة ١٩٤٣ من صدمات وانتكاسات وضربات . وبمعنى آخر هل سيحرز الحلفاء سلسلة من الانتصارات كالتى احرزها الالمان فى سنة ١٩٤٠ كلها هامة كبيرة ولكنها غير كاملة فاصلة ام انهم سيحرزون النصر الفاصل خلال هذه السنة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال يجب ان نذكر هذه الحقيقة الهامة وهي ان المانيا قوة برية هائلة وجيشها البري ضخم قوي العدة ثبت الجنان له تاريخ عسكري وضاء ولكنها لاتستطيع ان تحرز نصراً فاصلا الا بالقوة البحرية ولهذا (وقفت انتصاراتها عند امواج المحيط) وجيش المانيـا الضخم الجرار الهائل البطش المظفر فى معارك بولونيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وقف امام الشواطيء البريطانية بينه وبين النصر الاخير قرابة العشرين ميلا وليس فى بريطانيـا من قوات برية واسلحة حديثة تقارن بقوة هذا الجيش واسلحته بل ان دبابات الجيش البريطانى

اذ ذاك كانت دون الخمسمئة ارسل قسم وافر منها للدفاع عن الشرق الاوسط. والذي حال بين جيش المانيا وبين انقضاضه على قلب الامبراطورية البريطانية في صيف سنة ١٩٤٠ هو السيادة البحرية وبطولة السلاح الجوي البريطاني تلك البطولة التي ظفرت بمعركة بريطانيا الفاصلة.

مثل هذه الحقيقة التي مر ذكرها اي حاجة المانيا للسيادة البحرية لتتمكن من الظفر النهائي حقيقة ثانية مرادفة لها وهي ان بريطانيا وحلفاءها تعتمد في دفاعها وهجومها على السيادة البحرية وهي سيادة ضرورية لها ولم تخسرها مطلقا منذ ان اصبحت امبراطورية عالمية في القرن السابع عشر. ولكن انتصار الحلفاء الفاصل النهائي يحتاج الى قوة برية ضخمة تتغلب على قوة المانيا البرية وجيشها العظيم وفائدة السيادة البحرية للحلفاء هي وقاية بلاد الحلفاء من ان تنزل على سواحلها قوات معادية فهي ترس للدفاع وهي كذلك تمكين الحلفاء من نقل قواتهم الى المكان الذي يختارونه للقيام بهجومهم المنشود. وعند هذا ينتهي عمل السيادة البحرية ويبقى على القوات البرية والجوية ان تتم مابقى من اعمال شاقة لنيل النصر النهائي. وهذه القوات وحدها هي التي عليها ان تنتزع النصر من جيوش المحور. ولنضرب على ذلك مثلا. كان انتصار البريطانيين في (العلمين) انتصاراً باهراً وفاصلا بالنسبة للدفاع عن مصر والشرق الاوسط وقد مهدت القوة البحرية لهذا الانتصار بتمكينها للقوافل البريطانية من ان تنقل الى ميدان العلمين هذا الجيش القوي الذي قلب الوضع الحربي رأساً على عقب خلال اربعة اشهر بين انكسار ساحق وانتصار ساحق ولكن الذي انتصر في العلمين هو السلاح البري لا السلاح البحري.

نخرج من ذلك بنتيجة هامة هي ان انتصار الحلفاء النهائي يحتاج الى مرحلتين الاولى نقل القوات الضخمة الى ميادين القتال التي يعينها الحلفاء لمهاجمة المحور، ولهم

قوة المبادرة وقوة اختيار انسب الطرق وانسب الاماكن ،والثانية قهر قوات المحور في ميدان القتال . ولا شك ان نجاح المرحلة الثانية سيتوقف على نجاح المرحلة الاولى. واعتماد الالمان لاطالة الحرب واطالة المقاومة على امرين الاول هو الغواصات وبها يحاربون الحلفاء وقوتهم البحرية فى المرحلة الاولى ، والثانى جيوشهم البرية التي ستقاتل قوات الحلفاء فى المرحلة الثانية .

لاشك ان هذه السنة سيتم فيها معظم المرحلة الاولى او كل هذه المرحلة فتتجمع قوات الحلفاء حول (قلعة اوروبا) وتستعد لمهاجمتها من الشرق والغرب والجنوب ولا شك ان الحلفاء سينالون انتصارات باهرة كما سيلاقون بعض الاندحارات شأن كل حرب التي تجمع بين حسن الحظ وسوء الحظ ولكن انتصاراتهم ستكون ابعد اثراً واشد بروزاً من اندحاراتهم. اما النصر النهائى فقد لايكون فى هذه السنة الا اذا سارت الامور موفقة فى جميع مراحلها واصيبت روح العدو المعنوية بانحطاط سريع . وعلى كل حال فهذه السنة ان لم تأت بالنصر الاخير فستكون دعامته وتجعله قريب المنال فى سنة ١٩٤٤ .

اهمية الشرق الاوسط

اعتاد الكتاب ورجال السياسة فى اوروبا على تسمية المثلث المحصور بين البحر المتوسط والمحيط الهندي والبحر الاسود « بالشرق الاوسط » . فهو يضم العالم العربي الشرقي أي مصر والسودان والشام والعراق والجزيرة العربية ، ويضم تركيا وايران . هذا المثلث هو اعظم جسر يربط بين قارات العالم القديم الثلاث . وهذا الجسر كان مرسح التاريخ القديم والمتوسط والحديث وعليه مثلث اروح واعظم روايات التاريخ البشري وفيه ولدت امبراطوريات ودفنت اخرى . فقد شاهد طوتميس ، ونبوخذنصر ، وقمبيز ، والاسكندر ، ويوليوس قيصر ، وخالد بن الوليد ، ومحمد الفاتح ، وصلاح الدين ، ونابليون ، واللورد ألنبي .

واليوم يصل هذا الجسر بين الامم المتحالفة ولو وصلت اليه جيوش المحور كما كانت تؤمل وتتمنى لقطع الاتصال بين مركز الانتاج للحلفاء وهو في بريطانيا وامريكا وبين منبع قوتهم البشرية فى روسيا والصين والهند . وفى هذا الجسر تلتقى اعظم الطرق البحرية والبرية والجوية

التي تربط اجزاء الامبراطورية البريطانية وتربط هذه الامبراطورية مع روسيا . واهمية هـذا المثلث الحربية لا تنحصر فى موقعه الجغرافي الهـام بل تشمل عناصر اخرى اقتصادية وسياسية ذات خطورة . ذلك ان اغنى بقعة بالبترول فى العالم القديم تشمل هـذا المثلث واراض مجاورة له فى القفقاس وهو غنى بالقطن والقمح والفواكه والـكروم . وهـو باب لاوروبا عن طريق البلقان وحاجز بين اليابان والمانيا وطريق لمهاجمة روسيا من الخلف عن طريق القفقاس ومهاجمة الهند عن طريق ايران وبلوخستان . كل هـذا يوضح اعظم توضيح ما للشرق الاوسط من اهمية خطيرة وموقع ممتاز . ويوضح توضيحاً تاماً لماذا اتجهت نحوه انظار الدول القوية منذ حمل نابليون على مصر وتدخلت المانيا في الامبراطورية العثمانية ومنـذ ان التقت فى هذا المثلث مطامع روسيا وبريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليـا . فهو مطمح انظار كل دولة ذات مركـز عالمي كـبير . وكل ذلك يجعل من الشرق الاوسط « اهم بقعة على سطح الارض من الوجهة العسكرية والسياسية » .

حاولت المانيا فى الحرب المـاضية السيطرة على هذا المثلث فـكان لها مشروع خط حديد (برلين — بغداد) وكان تدخلها في الجيش التركى والسياسة العثمانية وكانت احابيلها فى ايران وكانت حملتها الفاشلة على مصر . ولما خسرت السيادة على هذا الشرق فتحت امام الحلفاء طريق البلقان من جهة سلونيك فهاجمـوا بلغاريا والنمسا وكان لسقوط بلغاريا والنمسا وانهزام الجيش التركى اثر بعيد فى قوة المقاومة الالمانية التى انهارت بسرعة انهيار المارد الضخم الذي فصلت اطرافه.

وكان امل (غليوم الثاني) المعسول فى السيطرة على هذا الجسر العالمي كتوطئة للسيادة العالمية هو الذي دفعه للتظاهر « بحماية الاسلام » .

ومن عبث الدهر ان يمثل رجل واحد دور « المنظم الالمـانى الاكبر » في سعي الالمان للسيطرة على هذا المثلث العظيم الشأن وذلك فى العهد القيصري والعهد الهتلري هذا الرجل هو (الهر فون بابن) وهو من نبلاء الالمان بدأ حياته السياسية كملحق عسكري للسفارة الالمانية في واشنطون وهناك اظهر عجزاً كبيراً فى ادارة اعمال الجاسوسية الالمانية وسبب للسفارة الالمانية مضايقات كبيرة فطلب السفير استدعاءه . ولما عاد الى برلين اخذ يضع الخطط للسيطرة الالمانية على الشرق الاوسط واقنع زعماء الجيش الالمـانى باحكام خططه فالحقوه بالقوة العسكرية التى جاءت الى الشرق . وكان قائداً لفصيلة من الخيالة . وقابل (المارشال هندنبرغ) ليطلعه على الخطط التى وضعها لاخضاع الشرق وكانت صداقته للمارشال من العوامل التى حملت المارشال على استدعاء هتلر سنة ١٩٣٣ لتولى منصب مستشار الريخ . لم يكن فون بابن موفقا في المعـارك فقد هزم مع فرقته فى فلـسطين وكاد يقع اسيراً بين ايدي البريطانيين في معركة شمال القدس ولاذ بالفرار تاركا وراءه جميع مذكراته التى وقعت فى يد الكولونيل (برانت) وهو الملحق العسكري فى السفارة البريطانية فى انقرة اليوم . والذى ساعد على نجـاة فون بابن هو ضابط المانى صغير في فرقته . وهذا الضابط هو (الهر فون ريبنتروب) الذي سعى لتعيين فون بابن سفيراً لالمانيا فى انقره . فاعجب لهذه الظروف التى جمعت اليوم بين فون بابن وخصمه برانت

ومنقذه ريبنتروب فى مرسح سياسي واحد. وكان اجتماعهما اولا فى ميدان عسكري واحد. والشيء الذي تبدل هو ان فون بابن اصبح مرؤوساً وكان رئيساً . ومن غرايب المصادفات الحكاية التالية التى وقعت فى الميدان الفلسطيني فى الحرب الماضية : فقد كان الجنرال عصمت باشا (رئيس الجمهورية التركية فى الوقت الحاضر) ممتطياً جواده ومعه نفر من الضباط بينهم الضابط الالماني فون بابن . ولما اخذت المدفعية البريطانية تقذف خط القتال بالقنابل ترجل فون بابن واختبأ وراء حجر ولم يكترث عصمت باشا للقنابل. ولما صمتت المدافع ولحق فون بابن بالجنرال التركي اراد ان يعتذر عن تصرفه فقال (ان البريطانيين يلاحقوننى شخصياً وغايتهم الاولى الايقاع بي وحدي وهذا ماحملني على الترجل) ولم يجب عصمت باشا بشيء لانه لم يعرف سر ملاحقة العدو لفون بابن وحده ! ولعل هذه القصة تزيد من مصاعب فون بابن السفير في بلاد رئيسها من وقف بنفسه على تصوراته البعيدة وشجاعته الخارقة !

بعد سقوط فرنسا وتسليم فيشي تسرب الالمان الى سوريا واستخدموا فيها اكفأ جواسيسهم وعلى رأسهم « فون هنتك » رئيس قسم الشرق الاوسط فى تنظيمات برلين المركزية وقد حاول هؤلاء الجواسيس تمهيد الطريق لغزو الماني جارف عن طريق تركيا أو القفقاس أو سوريا وعن طريق مصر فى وقت واحد. ولكن (تجري الرياح بما لا تشتهى السفن) .

وتلخص اهمية الشرق في الامور التالية .

١ — منه وحده يمكن للحلفاء فتح جبهة ثالثة لضرب المانيا من الخلف من جهة البلقان وايطاليا .

٢ — انه مركز الأمة الأسلامية العظيمة الممتدة من الاطلسي الى برما وهي ترجح كفة من تنضم اليه وتساعده بكل قواها .

٣ — انه طريق امداد روسيا من جهة الخليج الفارسي وايران والعراق .

٤ — انه اقصر واضمن طريق لامداد الهند والصين وتجتازه الطائرات الامريكية فى طريقها من البرازيل الى افريقيا ثم الى الهند والصين .

٥ — انه الحاجز بين اتصال اليابان بالمحور ويحول دون تعاونهما الحربى تعاوناً يذكر ولو خسر الحلفاء ميدان الشرق الاوسط لخسروا سيادة العالم القديم باكمله .

٦ — انه الميدان الوحيد الذي قاتل فيه جنود بريطانيا فى البر قتالا شديداً ونالوا فى ميدانه اكبر انتصاراتهم .

٧ — انه منبع من منابع البترول المهمة . والبترول وقود هذه الحرب ومسير آلاتها .

٨ — انه يزيد فى عزلة المانيا ويشدد فى حصارها اذ يمنع عنها البترول والمطاط والمواد الاخرى الكثيرة التى تحتاجها المانيا الموجودة فى بلاد الشرق .

هذه الاسباب توضح السياسة الحكيمة التي سار عليها رئيس الوزراء البريطانى فى تفضيله الشرق الاوسط على ميادين الحرب الاخرى وجعله فى رأس الميادين التى عملت بريطانيا على كسب النصر فيها . فالنصر في هذا الشرق توطئة للنصر النهائى وفقدان هذا الشرق خسارة لا تعوض ...

(مؤرخ)